برنامج [الأمان الأمان.. يا صاحب الزمان] - الحلقة (22)
ولادة القائم من آل محمد صلوات الله عليهم – الجزء (19)
شاشة الواقع الشيعي الديني – القسم (1)
الجمعة: 23 شهر رمضان 1439 الموافق: 2018/6/8

✤ هذهِ هي الحلقةُ الـ(22) مِن برنامجنا [الأمان الأمان.. يا صاحب الزمان] والحديثُ هو الحديث: حديثُ الولادة (ولادةُ القائم مِن آل مُحمّد "صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين")
في الحلقة الماضية أتممتُ الكلام فيم يرتبطُ بالشاشةِ الثالثة والتي عنوانها: شاشة الأسرة.. وبهذا تمّ الحديثُ في الشاشاتِ الثلاث الأولى والتي هي الشاشات الأوليّة الأصليّة (شاشة القرآن، شاشة العترة، وشاشة الأسرة). ما أتمنّاه عليكم هو إمّا أن تراجعوا الحلقات وهي موجودةٌ على الشبكة العنكبوتيّة - حتّى لو كانتْ مراجعةً سريعة - أو أن تتذكّروا المَطالب التي تمّ ذِكرها.
(وقفة سريعة أعرض لكم فيها خُلاصةً وجيزةً لِما تقدّم ذكْرهُ في الشاشاتِ الثلاثة الأولى وهي الشاشاتُ الأوليّة الأصليّة).

● بعد هذهِ الشاشاتِ الثلاثِ الأصليّة سأفتحُ شاشاتٍ ثلاثة أخرى وهي الشاشاتُ الثانويّة الفرعيّة.. وحين أقول "شاشاتٌ ثانويّةٌ فرعيّة" إنّني لا أُريد أن أُقلّل مِن شأنها، ولكنّها بحسب التصنيف العلمي وبحسب القيمةِ المَعرفيّة المَنطقيّة تَقَعُ تحتَ هذا العنوان، باعتبار أنّ الصُور التي عُرضتْ في الشاشات المُتقدّمة هي التي تُشكّل المبادئ والأصول الثقافيّة والمعرفيّة في هذا الموضوع الذي بين أيدينا.

✪ **الشاشةُ الرابعة: شاشة الواقع الشيعي الديني (وإنّني أتحدّث هنا عن الوجه الوجداني لواقعنا الشيعي الديني)**
وهي أوّل الشاشاتِ الثانويّةِ الفرعيّة، وهي شاشةٌ مهُمّة جدّاً.. فكُلّ الشاشاتِ التي تمّ الحديثُ حولها وفيها وكذلكَ الشاشاتُ المُتبقيّة والتي سأفتحها تِباعاً الواحدة تلو الأخرى، كُلّها مُهمّةٌ جدّاً في تكوينِ الصُورةِ الكاملةِ الكُليّة النهائيّة.
كما قُلت: الشاشة الرابعة عنونتُها بهذا العنوان: شاشة الواقع الشيعي الديني.. وإنّني أتحدّثُ هنا عن الوجه الوجداني لِواقعنا الشيعي الديني.. وحينما أقول: واقعٌ شيعيٌ ديني، فإنّ الواقع يتألّف مِن (ثقافةٍ، ومن أشخاصٍ، ومن مُمارساتٍ وطُقوسٍ، ومِن حركةٍ حياتيّةٍ في معاشنا اليومي... وكُلّ الإلقاءات الأخرى إنْ كانتْ مصادِرُها سياسيّة، اجتماعيّة، اقتصاديّةً، نفسيّةً بسبب المعاناة التي يمرّ بها الإنسان - إنْ كانت هذه المُعاناةُ إيجابيّةً أو سلبيّة - هذا هو الواقع الشيعي الديني.. إنّني أتحدّث عن أجوائنا الشيعيّة بكلّ تلافيفها وبكلّ تفاصيلها التي ننغرسُ فيها أو نتمازجُ معها مُنذ ولادتنا إلى وفاتنا.. هذا الذي عنيتُهُ بالواقع الشيعي الديني.. إنّني أتحدّثُ عن الجنبة الإنسانيّة، وبنحوٍ خاصّ إنّني أوجّه نظري إلى الجانب الوجداني.

● ديننا بحسب منهج الكتاب والعترة فيهِ مِساحةٌ واسعةٌ للغَيب، وحينئذٍ بالضرورةِ لابُدّ أن تكون مساحة الوجدان هي الأخرى واسعة.. لأنّنا لن نستطيع أن نتواصل مع الغَيب بنحوٍ مُباشر أو بنحوٍ غير مُباشر، لن نستطيعَ أن نتواصلَ معهُ إلّا عِبْر نافذةِ الوجدان، فكُلّما اتّسعتْ هذهِ النافذة (نافذة الوجدان) وكُلّما كانتْ زُجاجاتها نظيفةً جدّاً وصَقيلةً جدّاً كلّما استطعنا أن نستشرفَ الصُور عِبْرها بنحوٍ أوضح.
فهذهِ الشاشةُ تتناغمُ مع هذا المضمون الإنساني، مع مضمون النفس البشريّة في بُعدها الوجداني.

✤ **في هذهِ الشاشةِ الرابعة سأعرضُ صُورتين:**

❖ **الصورة (1): المنظومةُ الفائقة.**
ومُرادي مِن هذا العنوان أنّني سأعرضُ بين أيديكم صُورةً مَقطعيّة، لأنّني إذا أردتُ أن أتناولَ المنظومة المَهدويّة الفائقة مِن جَميعِ جهاتها، فهذا يقتضي أن أفتحَ برنامجاً جديداً.. لكنّني سأعرضُ صُورةً مَقطعيّة مِن هذهِ المنظومةِ المَهدويّة الفائقة.. وبعد عَرْضِها أنتم دَقّقوا النظر في هذهِ المنظومة:
هل تدلُّ على نَفْسها بنفسها؟ ما مَدى التعانق بين مَضمونها ومَضمون ما تقدّم مِن صُورٍ وحقائق في الشاشات السابقة؟ وما مَدى مضمونِ هذهِ المنظومة مع الصُور الآتية إنْ كان في هذهِ الشاشة (أي الشاشة الرابعة) أو في بقيّة الشاشات؟ فإنّني مثلما بيّنتُ لكم: نمطُنا نَمَط الشاشات المُتعدّدة، وفي كُلّ شاشةٍ صُورٌ مُتعدّدة.. لا أستدلُّ بشاشةٍ لوحدها، ولا أستدلُّ بصورةٍ لوحدها.. لابُدّ أن تكتملَ الشاشاتُ ولابُدّ أن تكتملَ الصُوَر وبعدَ ذلكَ نستخرجُ الصُورة الكاملة الكُليّة.

● قبل أن أعرضَ الصُورةَ المَقطعيّة مِن المَنظومةِ المَهدويّة الفائقة، أُقرّب الفِكْرة بِمثال تَوضيحي.. وهو لا يخلو مِن فائدةٍ علميّةٍ وثقافيّةٍ بالنسبة إليكم.. خُصوصاً للذي لم يكن مُطّلعاً على مثل هذهِ التفاصيل.
• صراعٌ علميٌّ حاد فيما بين عُلماء الغرب - وأنا أتحدّث هُنا عن عُلماء الفيزياء والكمياء وعُلماء البيولوجي وعُلماء الفَضاء - إنّني أتحدّثُ عن عُلماء الغَرب في مُختلف الاختصاصات (في الولايات المُتّحدة الأمريكيّة، أو في كُلّ دُول أُوربا المُتقدّمة تقدّماً علمياً واضحاً).. هُناك صراعٌ فكريٌّ عقائديٌّ - وأنا هُنا لا أتحدّثُ عن الأديان - وإنّما أتحدّثُ عن مَجموعةٍ تتبنّى الفِكْر الرُبوبي، وهَؤلاء يُسمَّون بالرُبوبيّين، وهُم الذينَ يعتقدونَ أنّ لِهذا الكونِ ربّاً.. بغَضّ النظر عن إلتزامهم بدينٍ مُعيّن أو عن عدم إلتزامهم بدينٍ مُشخّصٍ يُسمّى بإسمٍ خاصٍّ به.
عِلماً أنّ هذا العُنوان "الربوبيّون" عُنوانٌ مَعروفٌ عنهم، وهذا العُنوان يشملُ الذين يلتزمونَ بدينٍ مُعيّن، ويشملُ أيضاً الذين لا يلتزمونَ بدينٍ مُعيّن ولا يُؤمنون أصلاً بالأديان، ولكنّهم يُؤمنون بوجود إلهٍ خَلَق هذا الكون وهو يُديرهُ ويُدبّر أمره.
وهناك مَجموعةٌ ثانيّة التي هي في صِراعٍ فكريّ وعقائديّ مع هذهِ المَجموعة، وهؤلاء هُم الذين يُنكرون أنّ لهذا الكون ربّاً.
• أنا هُنا لستُ بصَددِ الحديث في كُلّ هذهِ التفاصيل، إنّما أُريدُ أن أُقرّبَ الفِكْرة إلى أذهانكم: لِماذا اخْترتُ هذا العُنوان "عنوانُ المنظومةِ الفائقةِ لِهذه الصُورة"..؟!

هَؤلاء الربوبيّون يستدلّون على فِكرتهم (أنّ لِهذا الكون ربّاً) بما يُسمّى بحَسَب اصطلاحهم هُم بـ(التصميم الذكي - Intelligent design)
وهُناك مُؤسّسةٌ كبيرةٌ في الولاياتِ المُتّحدة الأمريكيّة، هذهِ المُؤسّسة مُنذُ الأربعينات وشُغل هذهِ المؤسّسةِ الشاغل هو البحثُ في أسرارِ هذا التصميم الذكي في هذا الكون، في هذا الوجود. أعضاؤُها كثيرون جدّاً، مِن كبار عُلماء الولاياتِ المُتّحدة الأمريكيّة في مُختلفِ الاختصاصات.
فالقضيّةُ ليستْ قضيّةً عابرةً.. وإنّما قضيّةٌ مهمّة.. وكان التصميمُ الذكي هو دليلُ هؤلاء الربوبيّين على أنّ لِهذا الكون ربّاً.

● (وقفة عند أمثلةٍ سريعةٍ أعرضها بين أيديكم تُقرّب فكرة التصميم الذكي في هذا الكون).
هذا هو التصميمُ الذكي الذي صار دليلاً لِهؤلاءِ العلماءِ الربوبيّينَ أن وصلوا إلى هذهِ النتيجة، وهي: أنّ لِهذا الكون ربّاً.. لابُدّ أن يكون قادراً وفي قِمّة العِلْمِ والذكاءِ والحكمة والقُدرة على إدارتهِ بسبب هذا التعقيد في العلاقات وفي الثوابت، والمُتغيّرات، وفي التجدّد وفي التبدّل في كُلّ ما حولنا مِن أجزاء الكون وما يرتبطُ بحياتنا مِن جهةٍ تكوينيّةٍ وحيويّة.. كُلّ هذا يُمثّل جانباً يسيراً ومُختصراً جدّاً من التصميم الذكي الذي يتحدّث عنه هؤلاء العلماء والمُختصّين.

● النتيجةُ التي وصل إليها هؤلاءِ (العُلماء الذين تبنّوا هذا المنهج: منهج التصميم الذكي) هي: أنّ الكون مُفصّلٌ على مقاس الإنسان..! وهي نتيجةٌ خطيرةٌ جدّاً.. فهناك تعانقٌ واضح جدّاً بين خصائص هذا الكون ووجودهِ وبين خصائص حياة الإنسان ووجوده.. ولذلكَ وصلوا إلى هذهِ النتيجة.. هناك تناغمٌ واضحٌ جدّاً بين ما يجري في الكون وبين ما يجري في حياةِ الإنسان.. وأنا هُنا أتحدّثُ عن البُعد التكويني البيولوجي الفيزيائي في حياة الإنسان، لا أتحدّث عن الجانب السياسي أو الاجتماعي وإن كانت هي إنعكاسات ترتبطُ بالحالةِ التكوينيّة لتفاصيلِ حياةِ الإنسان.. لكن الحديث هُنا في الجانب التكويني.
فهم وصلوا إلى هذه النتيجة: أنّ الكون قد فُصّل بحسب مَقاس الإنسان.. وهذه النتيجة خطيرةٌ جدّاً..! ففي عقيدة منهج الكتاب والعترة إنّ هذا الكون خُلِقَ لِمُحمّدٍ وآل مُحمّدٍ.
مِن هُنا قُلتُ أنّ هذهِ النتيجة نتيجةٌ خطيرةٌ جدّاً.. ومُرادي مِن كونها "خطيرة" أيّ أنّها في غاية الأهميّة وفي غاية الدقّة والعُمْق.

● **الذين رفضوا هذه الفكرة قالوا:** إنّ الطبيعةَ فصّلتْ الإنسانَ على مَقاسها، وأنّ هذا المُصمّم الذكي الذي تتحدّثونَ عنه إنّهُ افتراضٌ افترضتموهُ فِراراً مِن الفراغات التي لا تجدون لها تفسيراً علميّاً.. ولذلك سمّوه (إله الفراغات - God of the gaps)
فبما أنّ الإنسان في بحثهِ العلمي لم يصل إلى التكامل، فهم يقولون: هناك فراغاتٌ لا يملكُ العِلْم تفسيراً لها، فإنّكم فِراراً من هذه الفراغات تفترضون وجود إلهٍ تسدّون به هذه الفراغات. قد يقتنعُ البعضُ بهذا الكلام.. ولكنّنا إذا أردنا أن ننظر إلى الواقع وننظر إلى ما حولنا سنجد أنّ ما قالهُ الربوبيّون مِن عُلماءِ الغَرب مِن وجود تصميمٍ ذكي لا علاقةَ لهُ بموضوع بالفراغات العلميّة.
هؤلاء يتحدّثون عن تصميمٍ ذكيٍّ في تعقيد بُنية الكون وفي تعقيد منظومة حياة الإنسان.. وأتحدّث هنا عن المُستوى البيولوجي، عن المُستوى التكويني..
فهؤلاء الربوبيّون تحدّثوا عن هذه المسألة ولم يتحدّثوا عن فراغاتٍ علميّة وعن تبريراتٍ علميّة أو إجاباتٍ علميّةٍ عن بعض المسائل التي لم يصِل العِلْم المعاصر إلى جوابٍ فيها أو إلى حلٍّ في عويصاتِ مُشكلاتها.
هؤلاء نظروا إلى القضيّة في اتّجاهٍ آخر.. ولكن الطرف الآخر لأنّه يُريد أن يرفض وجود إلهٍ لهذا الكون لابُدّ أن يجِدَ مُبرّراً.
• أنا أسألكم هُنا - بعيداً عن كوننا مِن الدينيّين أو مِن اللّادينيّين - وإنّما بِحسب عقولنا، ولنتجرّد بقدْر ما نتمكّن.. أنا أسأل وأقول:
هاتانِ فكرتان أمامنا:
فكرةٌ تتحدّث عن نظامٍ ذكي، وعن تصميمٍ عبقري لا يُمكن أن ينشأ مِن دُون مُصمّم.
وفكرةٌ أخرى تقول: أنّ الطبيعة نشأتْ هكذا مِن دُون مُنشأ وهي بعد ذلك صمّمتْ الحياة بحَسب ما هي عليه.. وهناك فراغاتٌ علميّةٌ سنعرفُ جوابها كُلّما تقدّم العِلْمُ يوماً بعد يوم.
أي الفكرتين يميلُ إليها عقل الإنسان؟ بعبارة أخرى: أيّ الفكرتين أقربُ إلى المنطق السليم؟
• فكرةُ "التصميم الذكي"
• أم الفِكرة التي تتحدّث عن إله الفراغات المُفترض الذي لا وجود له، وإنّما المُشكلةُ في أنّ العِلْم لم يتكامل بعد، ولذلكَ لا نملكُ أجوبةً على كثيرٍ من الأسئلة الإشكالات.

✸ النتيجةُ فكرتان:
الذين تبنّوا منهج التصميم الذكي قالوا إنّ الكون صُمّم وفقاً لِمقاس الإنسان.. والذين أنكروا ذلك قالوا: أنّ الطبيعةَ صمّمتْ الإنسان وفقاً لِمَقاساتها.
فماذا أنتم ماذا تقولون؟!
هل أنّ فكرة التصميم الذكي فكرة صائبة.. أمّ أنّ الفكرة الأخرى هي التي يميلُ إليها العقل؟
من هنا أخذتُ هذا العنوان، ومِن هُنا اشتققتُ هذهِ الفكرة.. وأساساً نحنُ عندنا دليلٌ مِن أدلّتنا في الثقافة الإسلاميّة يُسمّى بدليل (وحدة النظم).. وقطعاً لا يشتملُ هذا الدليل على تفاصيل ما يتحدّث عنه التصميم الذكي، لأنّ "التصميم الذكي" وراءهُ كبار علماء الفيزياء والكمياء مع كُلّ أسرار الفيزياء والكمياء التي بلغتْ ما بلغتْ بُحوثها العلميّة وتجاربها الهائلة في عصرنا الحاضر.. بلغتْ إلى مرامٍ بعيدةٍ جدّاً.
• مِثلما قُلت: في الثقافةِ الإسلاميّة عِندنا دليلٌ يُسمّى بدليل وحدة النَظْم.
في حديث أهل البيت هناك عندنا ما يُسمّى بدليل الأفاعيل.. والأفاعيل هي جَمْعٌ للأفعال والفعّاليات وللرَوابط وللعَلاقاتِ فيما بينها بما تَحملُ مِن دقّةٍ وحِكمةٍ وتدبيرٍ إلى سائر التفاصيل.. إنّه هو التصميم الذكي.. هو هو الأفاعيل.

● (وقفة مُوجزة عند أحد كبار فلاسفة الإلحاد وأئمتهِ في العَصر الحاضر وهو (انتوني فلو) وبيان كيف تراجع عن إلحاده وأنّه تبنّى وجود إلهٍ لهذا الكون، وما هو دليلهُ على ذلك).

فكرةُ التصميم الذكي فكرةٌ منطقيّةٌ ووجدانيّةٌ إلى حدٍّ بعيد.. فإنّنا حِين نُواجهُ تَصميماً ذكيّاً لا يُمكن أن نقول من أنّ هذا التصميم الذكي نشأ مِن دُون مُصمّمٍ ذكي.

لو كانَ أيُّ مُلحدٍ قد أغلق نافذةَ بيتهِ - مثلاً - وأسدل الستارة وخرج، وبعد ذلك لمّا رجع وجد أنّ الستارةَ قد فُتحِتْ والنافذة قد فُتحتْ أيضاً.. فهل يخطرُ في ذهنهِ أنّ هذه القضيّة حدثتْ هكذا مِن دُون أن يقوم بها أحد..؟! لا يُمكن ذلك.. وأنا هنا لستُ بِصدد مُناقشة المُلحدين، هم أحرارٌ فيما يعتقدون والحسابُ في ساحة الحساب.. وعند الله تجتمعُ الخُصوم.

التصميمُ الذكيُّ دليلٌ عقليٌّ منطقيٌّ وجدانيٌّ واضحٌ جدّاً.. أمّا إذا أردنا أن نغور في أعماق النفس الإنسانيّة.. فإنّ الإنسانَ الطبيعيّ مثلما يُدرك أنّه كائنٌ واحد ليس مُتعدّداً، فإنّهُ يُدرك بإحساسهِ الداخلي أنّه جسدٌ ورُوح. لو أنّ الإنسان دقّق النظر في أحوالهِ فإنّ هذا الإنسان يُحِسُّ - بغَضّ النظرِ عن المَعلومات - يُحِسُّ إحساساً داخليّاً أنّه يتألّف من ثنائيّة يستطيع أن يتلمّسها بوجدانه الداخلي (هناك جسدٌ ورُوح)

فمِثلما يتحسّس هذا المعنى فإنّه يتحسّسُ معنىً عميقاً غائراً في باطِن وجدانهِ، من أنّ الإنسان إذا مات لن ينتهي.. قد يُناقش المُلحدون في هذا الأمر، ولكنّني أتحدّث الآن عن الوجدان، فلستُ بصدد الحديث عن المُلحدين.. (وقفة توضيح لِهذه النقطة).

● **وصلنا إلى هذه الخُلاصة:**

هناك ما يُسمّى بالتصميم الذكي وهذا التصميم الذكي هو الذي قاد الكثير مِن العقول في عصرنا الحاضر من علماء الفيزياء والكمياء وسائر التخصّصات إلى الإيمان بالربوبيّة وأنّ لِهذا الكون ربّاً. وهذا الكلام منطقيٌّ فهناك تصميمٌ دقيقٌ عبقريٌّ لا يُمكن أن يكون مِن دُون مُصمّمٍ ذكيّ عبقريّ.

نفس هذه الفِكرة هي التي دفعتني أن أضعَ هذا العنوان (المنظومةُ الفائقة)

● مثلما حدّثتكم قبل قليل مِن أنّني سأعرضُ صُورةً مَقطعيّة عن المَنظومةِ المهدويّةِ الفائقة.. وبعد ذلك نُدقّقُ النظر في هذهِ المنظومة، هل أنّ هذهِ المَنظومة كانت جزافاً؟ هل نشأتْ مِن دُون حكمةٍ؟ هل كانتْ هذهِ المنظومةِ مُنفردةً عن بقيّة الحقائق التي تمّ عرضها في الشاشاتِ المُتقدّمة؟ أم أنّ ترابُطاً واضحاً يتجلّى فيما بين كُلّ تلكَ الحقائق وبين هذهِ المَنظومة؟ وبيّنتُ أنّني لا أستطيعُ أن أتحدّثُ عن المنظومة بكلّ تفاصيلها فذلك يستلزمُ وقتاً طويلاً. لذلك سأتحدّثُ بشكلٍ إجمالي عن أهمّ ملامح هذه المنظومة.

• الشقُّ الأوّل مِن هذه المنظومة هو شقّ نستطيعُ أن نتلمّسه.

• أمّا الشقُّ الثاني وهو شِقّ خفيٌّ، سرّيٌّ، مُعقّد جدّاً، سأحدّثكم عنهُ ولكن ليس في هذهِ الشاشة.. لأنّني لا أريد أن أعرضَ صُوراً ومُعطيات في هذه الشاشات لا دليل واضح عليها.. أو بالسهولة يُمكن أن تُنكر أو أن يُشكّك فيها بنحوٍ منطقي.

الجانبُ الخفيّ والسرّي مِن هذه المنظومةِ الفائقةِ - وهو جانبٌ كبيرٌ وواسعٌ جدّاً مِن هذه المنظومةِ الفائقة - سأتناولهُ بعد أن أُكمِلَ الحديث في الشاشات التسعة.. فبعد أن أُكمِل الحديث في الشاشات التسعة هُناكَ مجموعةٌ مِن الحواشي.. هُناك حاشيةٌ تشتملُ على جُملةٍ مِن المَوضوعاتِ المُهمّةِ والتي تتعلّق بالمُعطياتِ الّتي تُعرَضُ في هذهِ الشاشات لم أعرضها في إطارِ الشاشات لأنّي لا أملكُ دليلاً واضحاً جدّاً أستطيع أن أعرضهُ داخل هذه الشاشات مع أنّي أعتقدُ بِصحّتها.. لِذا جعلتُ بعض المعلومات في حاشية الشاشات.. أمّا ما يُعرَضُ في الشاشات فهو مُعطياتٌ واضحةٌ جليّةٌ صريحة.

• **إذاً المنظوم الفائقة تشتمل على شقّين:**

◈ الشقّ الخفيُّ والسرّيُّ وهو الأهمّ لن أعرضهُ في هذه الشاشة، وإنّما سأحدّثكم عنه في حواشي الشاشات بعد أن أُكمِل الحديثَ في الشاشةِ التاسعة إنْ شاء الله تعالى.

◈ أمّا الشقّ الأوّل وهو شقٌّ ملموسٌ محسوسٌ واضحٌ نستطيعُ أن نتلمّس مَلامِحهُ وبعضاً مِن مُفرداته هو هذا الذي سأتحدّثُ عن جانباً مِن ملامحهِ في هذه الصورة وهي الصورة الأولى مِن الشاشة الرابعة والتي عنونتُها: المنظومةُ الفائقة.

● **من ملامح هذه المنظومة المهدويّة الفائقة:**

✦ **الملمح (1):** النصوص الثقافيّة المعرفيّة. (ما يرتبطُ بإمامِ زماننا ولادةً ونشأةً وغيبةً وظُهوراً وسائرَ التفاصيلِ الأُخرى التي يُمكن أن نَصطلِح عليها: الثقافة المهدويّة.

عندنا نصوص تتمظهرُ في آياتٍ قرآنية.. فهناك عندنا مئاتٌ من الآيات فسّرها أهلُ البيت في إمام زماننا وشُؤونهِ.

وهناك آياتٌ حتّى إذا أردنا أن نُفسّرها باللّغة فقط مِن دُون الرجوع إلى حديث أهل البيت، فليسَ لها مِن معنىً إلّا أن تنطبِقَ على زَمنٍ يكونُ الحقُّ فيهِ حاكماً مُطلقاً، وينزاح الباطل عن وجه هذه الأرض.. وهذا المَعنى لا ينسجمُ - بحسب عقيدتنا - إلّا في عصرهِ الشريف.

فالمَلْمَحُ الأوّل مِن ملامح المنظومة المهدويّة الفائقة: النصوص (آياتٌ قُرآنيّة، أحاديثٌ، أدعيةٌ وزيارات) والشيعةُ تختلفُ في عِلْمِها وثَقافتها وتفاعُلها معَ هذه النصوص مِن شخصٍ لآخر، من مجموعةٍ لأُخرى، مِن اتّجاهٍ ومَشربٍ فكريٍّ مُعيّنٍ إلى اتّجاهٍ ومَشربٍ فكريّ آخر وهكذا.

✦ **الملمح (2): العلاقات..** وإنّني أتحدّثُ عن العلاقاتِ العقائديّة تَنظيماً وتأسيساً، وحَديثي هُنا ليس عن العلاقاتِ البشريّة فقط، وإنّما علاقةُ الشيعة بالأزمنة.. فهناك أزمةٌ (على مستوى السنوات، على مُستوى الشهور، على مُستوى الأسابيع، على مُستوى الأيّام، على مُستوى الساعات في نفس اليوم) العلاقاتُ تنظيماً وتأسيساً.. علاقاتُ الشيعة زماناً مكاناً.

وهناك علاقاتٌ بأمكنة معيّنة، كعلاقةٍ تُنظِّمُ وتُؤسّسُ في الواقع الشيعي ما بين الشيعةِ ومسجد السهلة، ما بين الشيعة ومسجد جمكران.. علاقاتٌ مع أشخاص يُمثّلونَ رموزاً في الثقافة المهدويّة.. على سبيل المثال:

• **السيّدة المعصومة: فاطمة بنت موسى بن جعفر**.. رمْزٌ مِن رُموز الثقافة المهدويّة.. فإنّ قُمّ التي هي عُشُّ آل مُحمّد رَمْزها الأوّل السيّدة المعصومة.. وقُم لها خُصوصيّات كثيرة ترتبطُ بقائم آل محمّد.. وأنا هنا لستُ بصدد الحديث عن قُم وعن المنظومة القُميّة.. والأمرُ ليس مُتعلّقاً بزماننا.. فَقُم مُنذ بداياتها أسّسَ إمامنا الصادق لها نظاماً قائميّاً مَهدويّاً نستطيعُ أن نتلمّسَ آثارهُ الواضحة في كلماتهم ورواياتهم وأحاديثهم.. فأنا حين أتحدّث عن الأشخاص إنّني أتحدّث عن الأشخاص الذين هم بمُستوى السيّدة المعصومة.. لا أتحدّث عن شخصيّاتٍ شيعيّة (كمراجع وخُطباء وعلماء وعن زُعماء سياسيّين) فهؤلاء لا صِلةَ لهم بالمنظومة المهدويّة الفائقة.. فهؤلاء حالهم حال جميع الشيعة.. كُلّنا نرتبطُ بهذه المنظومة (كُلٌّ بحسبه).

وأنا أتحدّث هنا عن صُورةٍ مقطعيّةٍ جانبيّة وهي صُورةٌ صغيرة.. وإنّني إذ أتحدّث هنا فإنّني أتحدّث عن الشقّ الجليّ وهو الشقُّ الأصغر. أمّا الشِقُّ الخفي مِن هذهِ المنظومة وهو الشِقُّ الأكبر فلن أتحدّث عنه وأنا أعرضُ هذه الصورة في هذه الشاشة.. سأُحدّثكم عن الشقّ الخفي لِهذه المنظومة الفائقة ولكن بعد أن أُكمل الحديث فيما يرتبطُ بالشاشةِ التاسعة.

✦ **الملمح (3)**: وهو ملمحٌ يتداخلُ مع المَلْمَحين السابقين، ولكن مَن ينظر إلى الواقع الشيعي فإنّ هذا الملمح يتجلّى بشكلٍ واضح (**الطقوس والمُناسبات**).
وهذه العناوين وهذه المُفردات مُتداخلة (النصوص، العلاقات، الطقوس والمُناسبات)
فهذه ملامِحُ المنظومةِ المهدويّة الفائقة..

● لو أخذتُ جانباً على هذهِ الصُورةِ المقطعيّة وسَلّطتُ الضَوء على حركةِ مَنظومةِ الأدعيةِ والزيارات وهي جُزءٌ مِن هذهِ المَنظومةِ الكبيرةِ الفائقة.. إذا سلّطتُ الضوء على منظومة الأدعيّةِ والزيارات في الوسط الشيعي..

• فهذه الحركة تتجلّى في طقوسٍ مُعيّنة أولاً.
• وتربطُ بأزمنةٍ مُعيّنةٍ أو غير مُعيّنة ثانياً.
• وترتبطُ بأمكنةٍ مُعيّنةٍ أو غير مُعيّنة ثالثاً.
• وترتبطُ برموزٍ مُقدّسةٍ رابعاً.

على سبيل المثال: كتابةُ الرُقَع لإمام زماننا لها طُقوسٌ، وتُكتَبُ عِبْر السُفراء الأربعة - وأنا أتحدّث عن أيّامنا هذه -

• خامساً: ثقافةٌ معلوماتٌ معارف - كُلٌّ بِحسبهِ - يستطيعُ أن ينهل من منظومة الأدعية الزيارات.. مَدْعاةٌ للتواصل الاجتماعي بِحسب ما مرّ مِن طقوسٍ وأزمنةٍ وأمكنةٍ وإلى غير ذلك.
• سادساً: تكوينُ حالةٍ نفسيّةٍ عند الشيعي (فَرَحاً، حُزناً، حماساً، تفاعلاً وإعجاباً.. إلى سائر ما يُمكن أن يكون جُزءاً من الحالةِ النفسيّة للشيعي)

مِن كُلّ ذلك ينتجُ إعدادٌ عقائدي للشخصيّة الشيعيّة وكُلّ شخصٍ بحسبه، وكُلّ مجموعةٍ بِحَسَبها.. قطعاً مع افتراض أنّ الأشخاص وأنّ المجموعات يتلمّسون العقيدة الصحيحة ويتلمّسون المسار العَمليّ الصحيح.. لا أن تكون هُناك مَجموعةٌ - على سبيل المثال - تدّعي الخُصوصيّةَ لشخصٍ مُعيّنٍ مَعالمُ جهلهِ واضحة وتُسْبِغُ عليه الأوصاف الغَيبيّة.. أنا لا أتحدّث عن هذه المجموعات.. لا أتحدّثُ عن مجموعاتٍ تستهينُ بظواهر الشرع.. فإنّ الإستهانة بظواهر الشرع وأخلاقهِ وآدابه وأعراضه حربٌ عَلَنيّة مع إمام زماننا..!

ديننا مبنيٌّ على ظواهر الدين وبواطنه.. كما نُخاطبهم في زياراتهم الشريفة.. نحنُ نُؤمنُ بظاهرهم وباطنهم.

التشكيكُ في ظواهر الشرع وفي أخلاقهِ وفي سُلوكيّاتهِ وفي أعرافهِ وآدابه، وفي ذوقه، وفي مُستحبّاتهِ وفي سُننهِ حربٌ مُباشرةٌ مع إمام زماننا.. هذه القضيّة واضحةٌ جدّاً.

فحينما أتحدّث عن هذه التفاصيل إنّني أتحدّث عن شيعي على المُستوى الفردي، أو عن مجموعةٍ شيعيّة على المُستوى الجمعي يتبنّون عقائد أهل البيت، ويُفسّرون القرآن بتفسير أهل البيت، ويلتزمون بآداب أهل البيت وأعرافهم وأحكامهم.. يعملون بظاهر دينهم وباطنهم.. هذا الذي قصدتهُ مِن آثار حركة منظومة الأدعية والزيارات في الواقع الشيعي.. وما أتحدّث عنه عن منظومةٍ مهدويّةٍ فائقة، إنّني أتحدّث عن واقع شيعي بهذه المواصفات.

وينتجُ مِن كُلّ هذا ينتجُ إعدادٌ عقائديٌ بحسب اختلاف مَدارك الشيعة وثقافتهم.. إعدادٌ عقائديٌ ينعكسُ على البُعد الإعلامي والسياسي والاجتماعي والبُعد النفسي الوجداني.. هكذا تتحرّك منظومة الأدعيّة والزيارات ضِمن تلك المنظومة المهدويّة الفائقة.

✦ **الملمح (4)**: ملمحُ الإعداد والتهيئة للواقع الشيعي، وحتّى للواقع المُجاور للواقع الشيعي أو المُمازِج للواقعِ الشيعي إنْ استلزمتْ الضرورة.. فإذا كانت هناك ضرورة فإن هذا الأمر يُؤخذ بنظر الاعتبار.